

عمر سيّكة

قتلى...

حتّى مطلع الأرض.

نصّ شعريّ

تونس

2007

3

الكتاب:

قتلى...

حتى مطلع الأرض.
نصّ شعريّ

المؤلف: عمر سيّكة

صورة الغلاف: لوحة للرّسام العالميّ فرانسوا بيار بلو

تصميم الغلاف: عمر سيّكة

النّاشر: دار الإتحاف للنّشر

الطّبعة الأولى: 1000 نسخة

ر د م ك: ISBN

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

تونس
2007

الإهداء:

إلى الواقفين خلف الأسلاك،
إلى شهداء الأرض.

المفتاح القديم

تسّاقط الورقات على الورقات، و تسّاقط الكلمات على الكلمات، و مازالت الأرض دامعة النظرات قدّام مشهد الدّبابة و الجرّافة اليوميّ، مازالت الأرض تستبق الخطوات خلف ظلال نهار طليق.

مازال صديقنا المحتلّ يطلق نيران رشّاشه في ليل أزقّتنا، في شوق شوارعنا، في صمتنا، في صوتنا، في موتنا، في جنائز أيّامنا، مازال صديقنا المحتلّ يطلق نيران رشّاشه في قاع أحزاننا، في شاهق أفراحنا، مازال صديقنا المحتلّ يمشي على أشياءنا، و يمشي على تربة عالقة بالجدور، مازال يمشي على تربة تتذكّر.

مازال صديقنا المحتلّ يشدّب الأشجار، يشدّب الأفكار، مازال يشردّ الإنسان، يبدّد الأفراح و الأحزان، مازال صديقنا المحتلّ يعرّب التاريخ و الوطن و الأعراب.

تَسَيِّقُطُ الورقات على الورقات، و تَسَيِّقُطُ الكلمات على
الكلمات، و منذ الهجرة الأولى، مازال، في مطلع والأرض،
شيخ يجلس القرفصاء تحت ظلال الأيام، يحتفظ بمفتاح
بيته القديم، و بحفنة من تراب بستانه الجميل، لم ينحن
الشيخ،

و المفتاح مازال يهتف أعلى من السنين، مازال الشيخ
يقلّب وجهه في السماء، آن له أن يحطّ رحال انتظاره، آن
له أن يطفئ نظراته العاشقة.

لا بدّ للأرض، للأعشاب، للأشجار، للأفكار، لا بدّ
للإنسان، لا بدّ للأفراح، لا بدّ للأحزان، لجدران البيوت
الخفيضة، لظلالها الشاهقة، لا بدّ لمن صمد بعد التّكبة،
و لا بدّ لمن صمد بعد التّكسة، و لا بدّ لمن صمد بعد
الخيبة، و بعد الخيبة، لا بدّ للصّيامدين جميعاً أن يخرّوا
سجّداً.

لا بدّ للشّهداء أن يترفّعوا عن عقيدة التّحرير الوطني، لا بدّ
لهم أن يتطهّروا من خطيئة الكفاح المسلّح حتّى لا يزعجوا
عساكر، و جرّافات، و دبابات، و طائرات صديقنا المحتلّ.

تَسَيِّقُطُ الْوَرَقَاتُ عَلَى الْوَرَقَاتِ، وَ تَسَيِّقُطُ الْكَلِمَاتُ عَلَى
الْكَلِمَاتِ، وَ بَعْدَ مَشَارِيعِ التَّسْوِيَةِ، بَعْدَ اخْتِرَاقِ الْمَدَى
لِلْمَدَى، وَ بَعْدَ اخْتِرَاقِ الصَّيْدَى لِلصَّيْدَى، وَ بَعْدَ اخْتِنَاقِ
الشَّدَا، لَا بَدَّ لِلْأَجْنِيِّينَ خَارِجَ الْأَرْضِ أَنْ يَغْتَالُوا الدَّمْعَ
وَ الْأَشْوَاقَ، لَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَغْتَالُوا الْوَطْنَ وَ التَّارِيخَ، لَا بَدَّ
لَهُمْ أَنْ يَطَيِّرُوا الْأَوْرَاقَ الطَّائِرَةَ، لَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا قَبْلَ
الْمَوْتِ
وَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

لَا بَدَّ لِسُكَّانِ الْمَخِيْمَاتِ أَنْ يَقْلَمُوا أَظَافِرَ الْمَفْرَدَاتِ عِنْدَ
تَلَاوَةِ نَصِّ الْخُطَابِ، لَا بَدَّ لِلْقَامَاتِ أَنْ تَتَقَلَّصَ أَثْنَاءَ حَفْلَةِ
التَّوْقِيعِ. لَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَغْلَبُوا نَبْرَةَ الصَّيْمِتِ، لَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ
يَغْلَبُوا نَبْرَةَ الْمَوْتِ، لَا بَدَّ لَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا قَبْلَ الْمَوْتِ وَ بَعْدَ
الْمَوْتِ.

تَسَيِّقُطُ الْوَرَقَاتُ عَلَى الْوَرَقَاتِ، وَ تَسَيِّقُطُ الْكَلِمَاتُ عَلَى
الْكَلِمَاتِ، وَ لَا بَدَّ لِعَسَاكِرِ الدُّنْيَا أَنْ تَتَوَحَّدَ لِنَزْعِ أَسْلِحَةِ
الدَّمَارِ الشَّامِلِ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا شَعْبُ الْمَخِيْمَاتِ.
لَا بَدَّ لِنِسَاءِ رَفْحٍ أَنْ يَنْتَزِعْنَ جَلَابِيهِنَّ السَّيُودَ بِصُدُورِهَا
الْمَطْرُزَةِ، لَا بَدَّ لِأَطْفَالِ الْقُدْسِ أَنْ يَطْفَعُوا نَظَرَاتِهِمُ الْمَتَرَقَّبَةَ،

لا بدّ لشيّوخ النّاصرة أن يصمّوا آذانهم حيال نداءات
الأرض، و يناموا هادئين، لا بدّ لهم أن يموتوا قبل الموت
و بعد الموت.

لا بدّ لطائر الفينيقيّ الفلسطينيّ أن يحطّ رحال السّماء بعيدا
عن الأرض.

لا بدّ للسّينابل، لا بدّ للبلابل أن تترقّع عن النّيرة الشّاهقة،
لا بدّ للمقاتل أن يترقّع عن النّظرة العاشقة.

لا بدّ لشعب المخيمات أن ينسحب من الأرض الّتي
يحتلّها بقوة الانتماء، لا بدّ له أن يحترم الاتفاق.

لا بدّ لشعب المخيمات أن يشهد في خشوع مشهد الدّبابّة
و الجرافة و الوطن المسحوق.

تسيّاقط الورقات على الورقات، و تسيّاقط الكلمات على
الكلمات، و لا شكّ فلسطين باقية، مادام الإنسان،

مادام الله، مادام الحبّ، و يعلم البحر، تعلم السّيفائن،
تعلم الأرض و السّماء، تعلم الأشجار، تعلم الجرافة و
الدّبابّة، يعلم الجنود، يعلم الشّهيد و الشّهود، يعلم القتل
و القاتل، تعلم القبائل أنّ الواقفين خلف الأسلاك قتلى...
حتّى مطلع الأرض.

فلا بدّ للّيل أن ينجلي،
و لا بدّ للقيد أن ينكسر.
سلام!

على عتبات النّصّ.

قمر يترقّب أغنيتي

إلى سعيده دائما

قريبا من الطّفل ألهو،
أطلّ على الأرض
من شرفة تتدلّى من القلب
،من آهة تتأوّه في آهة العرب
،من سند يعتلي سند الحزن
و من غيمة تحتسي شاسع الدّمن،
أطلّ على الأرض
من ثقب بالجدار،
قريبا من الطّفل ألهو،
أطلّ على وطن يترقّب في نظراتك
أعلى من القصف،
أعلى من الخوف
في نظرات القفار،

قريباً من الله ألهو،
أطلّ على الطفل يلهو
على حافة الموت في وضح الطلقات،
أطلّ على وطن يترجّل ساح الظلام،
أطلّ على وثن يترجّل ساح الكلام،
أطلّ على الطفل يلهو
على حافة القصف.
تنفض الحاء،
تنفض الرّاء في جسدي.
قريباً من الله ألهو،
أطلّ على طفلة تترجّل ساح القنابل،
تحضن دميّتها و تموت،
أطلّ على امرأة تترجّل ليل القبائل،
تحضن أشلائها و تموت...

قريباً من الطّفل ألهو،
أطلّ على قلّمي يترجّل ساح الرّماد،
ليبحث عنيّ و عنك،
و تبحث جينين،
تبحث بغداد،
تبحث بيروت عن دمية تتدرّج
في شارع يتجوّل في دمه،
تقطف الورد من عطرها،
من عناد حدائقها،
و تنهض قانا من النّظرات،
من الخطب،
و من تربة تترشّف صيحتها،
قريباً من الله ألهو،
أطلّ على قمر يترقّب في نظراتك
أعلى من القصف،
أعلى من الخوف،